النصوص المسمارية ودورها في استيعاب أبرز المعطيات السياسية التي شهدها عصر فجر السلالات

م.د. جاسم عبد الأمير جاسم
كلية الآثار/ جامعة القادسية

المقدمة

أن علم الآثار بكشفهِ عن مراحل التطور البشري قد أحدث انقلاباً كبيراً ومدهشاً في المعرفة الإنسانية وفتح في تاريخ التقدم البشري آفاقاً واسعة وبعيدة في اتجاه الإنسان ونظرتهُ إلى الحياة بوجه عام، وإلى التاريخ وفلسفتهُ بوجه خاص، ولعل ألمع جوانبهُ؛ أن المنقبين قد استطاعوا أن يستظهروا من الركام وأنقاض التراب حضارات وأمم وشعوب غابرة ومنسية لم يعرف عنها العالم شيء، وبفضل ما قدمتهُ النصوص المسمارية التي كُشف عنها توصلنا إلى معرفة التاريخ السياسي والحضاري فضلاً لاعن العلوم والمعارف والفنون والآداب والأدوار التي مثلتها في مسرح التاريخ البشري للأمم والشعوب القديمة، وقد استوعبت هذه النصوص أبرز الأحداث وأدق التفاصيل عن مختلف جوانب الحياة وتأتي في مقدمتها استيعاب أبرز المعطيات السياسية للأحداث بالرغم من قلة النصوص التاريخية في الإلف الثالث قبل الميلاد والتي من أبرزها أول برلمان سياسي، أول انتخابات، الدبلوماسية السياسية، العفو العام، الحرية وحقوق الإنسان، تطبيق مبادئ القانون الدولي وغيرها .

أهمية النصوص المسمارية

تحتل النصوص المسمارية (المصادر الكتابية) ونتائج أعمال التنقيبات الأثرية مصدران أساسيان من مصادر دراسة التأريخ بوجه عام وتأريخ بلاد الرافدين وحضارتهُ بوجه خاص، وان ما يجعل من التاريخ علماً هو طريقة البحث أو المنهج العلمي الذي يعتمد أساسا على الوثائق الكتابية التي لا يمكن بدونها أن يكون هنالك تأريخ( )، كما إن دراسة النصوص المسمارية وما يتصل بها من شواهد فنية مكتشفة تساعد في استخلاص معلومات قيمة، وإن كانت محدودة ومقتضبة أحيانا إلا أنها ستساعد في فهم واستيعاب جوانب من الحياة اليومية وما يرتبط بها من جوانب اجتماعية، ومعطيات سياسية واقتصادية ودينية( ).

شهد تاريخ بلاد الرافدين تقلبات سياسية وعسكرية واجتماعية على مر العصور وقد لعبت النصوص المسمارية والمصادر الكتابية دوراً بارزاً ومهماً في الكشف عن معطيات الإحداث واستيعاب الظروف التي مرت بها وما آلت إليه الإحداث من نتاجات فكرية وحضارية شملت مظاهر متعددة منها الدين والنظم والعادات والتقاليد القانونية والأعراف الاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن الجوانب السياسية( )[٣].

لقد كشفت النصوص المسمارية التي تعود إلى النصف الأول من الإلف الثالث قبل الميلاد العصر السومري القديم (عصر فجر السلالات)( )[٤]، تقلبات وأحداث سياسية عدة، وما تسمية هذا العصر بعصر السلالات أو عصر دول المدن ما هي إلا إشارة إلى الجانب السياسي الذي تميز به، ذلك أن النظام السياسي الذي ساد فيه كان تقسيم البلاد إلى دويلات أو سلالات حكمت البلاد ولم تنشأ بعد الدولة الموحدة، وكان معظم تلك السلالات متعا صرة إما كلياً أو جزئياً( )، ونظراً لطول المدة الزمْنية التي يحتلها هذا العصر فقد سُمي بعدة تسميات وقسم إلى ثلاثة أقسام اختص كل قسم منها بخصائص ومميزات حضارية معينة .

التسمية

كان يُطلق على عصر فجر السلالات تسميات عدة غالبيتها تشير إلى الجانب السياسي؛ إلى أن قام الأستاذ هنري فرانكفورت (H.Frankfort) بتسميتهُ عصر فجر السلالات (Early dynastic period) بالاعتماد على نتائج التنقيبات التي أضطلع بها المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو في مواقع حوض ديالى الأثري بين الأعوام (١٩٣٠-١٩٣٧م)( )، وأشهر هذه التسميات[٦] هي عصر ماقبل سرجون (Pre-Sargonic) وهذه التسمية ذات مدلول سياسي واضح إذ أنها تشير إلى العصر الذي سبق توحيد سرجون الاكدي البلاد في دولة واحدة؛ وسُمي بعصر لكش( )[٨]، نسبة إلى المدينة[٧] السومرية المشهورة لكش (Lagaš^{ki})( )، كما سُمي بعصر اللبن المستوي-المحدب(Plano Convex-Bricks) وتُشير هذه التسمية إلى جانب حضاري؛ وهو شيوع استعمال نوع خاص من اللبن في البناء يكون محدب الوجه ومستوي القفا ويُصف على عرضة في البناء؛ ومنهم من يطلق على هذا

العصر أسم عصر ميسالم( )، ومن الباحثين المحدثين من يُسمي هذا العصر بالعصر السومري القديم؛ وذلك لشيوع أطلاق مصطلح العصر السومري الحديث في الرسائل والأطاريح على عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ق.م) والتي كانت نهايتها نهاية الإلف الثالث قبل الميلاد .

أقسام عصر السلالات

نظراً لطول المدة الزمنية التي يحتلها عصر السلالات السومرية أستطاع الباحثون من دراسة المخلفات الأثرية العائدة لهذا العصر الذي استغرق ستة قرون تقريباً أن يُقسموه إلى ثلاثة أدوار رئيسية وهي:

١-عصر السلالات الأول (٢٩٠٠/٢٨٠٠-٢٧٠٠ق.م)

٢-عصر السلالات الثاني (٢٧٠٠-٢٥٥٠ق.م)

٣-عصر السلالات الثالث (٢٥٥٠-٢٣٧١ق.م)( ) .

المصادر المسمارية عن عصر السلالات

تأتي في مقدمة مصادر معلوماتنا الكتابية من النصوص المسمارية المدونة عن الجانب السياسي لهذه المدة الزمنية التي تصل إلى ستة قرون تقريباً، هي :

أولاً : جداول الملوك السومرية :

وهي من أهم الوثائق التاريخية والتي تعد مصدراً أساسياً من مصادر معرفتنا بأسماء الملوك وأسماء السلالات الحاكمة في العراق القديم، ويعود زمن تدوينها على الأرجح إلى عصر سلالة أور الثالثة، وآخر نسخة منها تعود إلى عصر سلالتي أيسن – لارسا، وعلى الرغم من المبالغة في أرقام السنين المخصصة لحكم الملوك الذين وردت أسمائهم فيها ولا سيما ملوك ما قبل الطوفان، فضلاً عن ذكر السلالات بشكل متسلسل ومتعاقب، إضافة لذلك إغفال ذكر بعض السلالات والملوك ممن تعرفنا إليهم وإلى أسمائهم من خلال مصادر مختلفة سواء كانت نصوص مدونة، أو لقى فنية، وسبب إغفال ذكرهم غير معروف، إلا أنهاُ تعد مصدراً أساسياً من مصادر معرفتنا بهذهِ المدة الزمنية، ومن تلك السلالات الحاكمة التي لم تذكرها جداول الملوك السومرية سلالة لكش وسلالة اوما

[12] ووفق ما جاء في الوثيقة "إن الملوكية هبطت من السماء ونزلت في أريدو، وحكم فيها ملكين، ثم انتقلت الملوكية إلى مدينة باد- تبيرا وحكم فيها ثلاثة ملوك،...( ). ٢ ١

ثانياً : نص التمّال (Tummal Inscription)

الذي يُعد من المصادر الكتابية المهمة لمعرفتنا بعدد حكام عصر السلالات وأزمان حكم بعضهم بالنسبة إلى حكم البعض الآخر، وقد دّون هذا النص على لوح من الطين وجدت نسخة منهُ في مدينة نفر من العصر البابلي القديم وهو يُسجل أسماء الملوك والحكام الذين قاموا بتجديد المعبد المسمى (تّمال)، أو المعبد الواقع في حارة التّمال المقدسة في نفر والذي خُصص للإلهة ننليل زوجة الإله انليل[13] وأبرز ما جاء في نص التّمال (اينميبراكسي الملك شيد في مدينة نفر بيت انليل، اكا ابن اينميبراكسي أعلى شأن التّمال وجلب الإلهة ننليل الية، ثم تخرب التّمال لاول مرة، فشيد ميسانيبدا برشوشا العائد إلى معبد أنليل، مسكياكننا أبن ميسانيبدا أعلى شأن التّمال وجلب ننليل الية ....)[14].

ثالثاً : النصوص الملكية

وهي مدونات الملوك والحكام من أجل تخليد إعمالهم ومنجزاتهم العمرانية والحربية والدينية التي قاموا بها، وتشمل الكتابات النذرية والتذكارية إضافةً إلى الكتابات التاريخية الرسمية والدعائية، وقد دونت هذه الكتابات على أنواع مختلفة من المواد، فمنها ما كُتب على الألواح والمخاريط والتماثيل ومنها ما كُتب على المسلات والآنية وغيرها من المواد[15] وتكمن أهمية هذهِ النصوص في كونها توفر معلومات غنية عن الحياة الاجتماعية والحضارية للسكان التي تتحدث عنها إلى جانب المواضيع السياسية والعسكرية ...الخ، ولكونها تتسم بدقة عالية من التعبير لذا قيل عن تاريخ بلاد الرافدين أنهُ يعتمد بشكل رئيسي على الكتابات الملكية( )، وأبرز هذه الكتابات تلك التي جاءتنا من مدينة لكش التي حكم فيها عدد من الملوك والحكام الذين لم تذكرهم جداول أثبات الملوك السومرية، ولكن التنقيبات التي أجراها الفرنسيون قد ألقت أضواء كاشفة على أخبار هذه الدولة ومآثرها وأسماء ملوكها ومخلفاتهم الفنية وكتاباتهم التاريخية مما لم يضاهيها في كثرتها وتنوعها جميع ما جاء ألينا من عصر

السلالات من المواضيع الأخرى، فكانت في مقدمة مصادرنا عن أحوال هذا العصر في جميع أوجههُ ونواحي الحياة فيه(٧ ١).

دور النصوص المسمارية في استيعاب أبرز المعطيات السياسية

لقد استوعبت النصوص المسمارية أبرز الأحداث وأدق التفاصيل عن مختلف جوانب الحياة وتأتي في مقدمتها استيعاب أبرز المعطيات السياسية للأحداث بالرغم من قلة النصوص التاريخية في الإلف الثالث قبل الميلاد، ويمكن القول إن دويلات المدن السومرية في عصر فجر السلالات كانت في حروب ونزاعات مستمرة، وليس أدل على ذلك من العبارة التي أوردتها وثيقة إثبات الملوك السومرية التي تصف بها نهاية كل سلالة بأنها ضربت بالسلاح وانتقلت الملوكية إلى سلالة أخرى(٨)، كما أن النصوص الواردة من دولة لكش أعطت صورة نموذجية لطبيعة العلاقات السياسية في تلك الحقبة التاريخية.

أن من أبرز المعطيات السياسية عن عصر فجر السلالات التي قدمتها النصوص المسمارية هي التسمية إذ استندت هذه التسمية على النصوص المسمارية المكتشفة في مواقع حوض ديالى ومدينتي لكش واوما، وان اختلفت التسمية من باحث إلى آخر بحسب طبيعة تناوله للموضوع ، إن كان سياسيا أو حضاريا، ومن المعروف أن عصور فجر السلالات بدأت فيها أولى السلالات الحاكمة المعروفة لدينا من خلال النصوص المسمارية التي يختلف الباحثون في تحديد بدايتها بين الأعوام (٣٠٠٠-٢٨٠٠ ق.م)، ولكنهم يتفقون على أن نهايتها كانت بقيام الدولة الاكدية عام (٢٣٧١ ق.م)( )، وهناك من يرى أن قيْامها كان في عام (٢٣٣٤ ق.م)( )، ومنهم من يرى بأن قيامها كان في عام (٢٣٥٠ ق.م)( )، كل بحسب ما تناوله من دراسة في تحديد العصر من معطيات عامة فنية أو عمارية أو سياسية.

أبرز المعطيات السياسية لعصر فجر السلالات

أولاً : الدبلوماسية السياسية

لقد كشفت النصوص المسمارية من عصر فجر السلالات، أول أشارة ظهرت فيها الدبلوماسية السياسية والتي كانت مرتبطة بمصطلح الرسول أو المبعوث الملكي (^{lu2}gin-gi$_4$-a-lugal) والتي تعود إلى عصر فجر السلالات الثاني في النصف الأول من الإلف الثالث قبل الميلاد في القصيدة السومرية المعروفة باسم "انمركار وسيد أرتا"( )،إذ ورد فيها "أختر رسولاً حكيم المنطق ... ودع[٢]الكلمات العظمى التي فاهت بها انانا الحكيمة تبلغ إلية...أيها الرسول بلّغ سيّد "أرتا" وقل لهُ ..."( )[٣]، وقد عكست لنا هذه القصيدة طبيعة العلاقات والأسلوب الذي تتمُ فيه المفاوضات، ويبدو أن مبعوث انمركار كان يحمل رسالة مدونة على لوح طيني كون الرسالة كانت طويلة يصعب عليهِ حفظها مما جعل بعض المصادر تصفهُ بثقيل الكلام( )[٤]، وإذا أمعنا النظر وتفحصنا هذهِ الأسطر جيداً نجد أولاً لابد من الاختيار الدقيق للممثل السياسي الذي سيمثل الدولة في حواراتهِ ومناقشاتهِ مع الدولة الأخرى فيذكر في بداية كلامهِ أختر رسولاً حكيم المنطق، أي أن من أبرز صفاتهِ أن يكون ذو حكمة وقابلية في إدارة الحوارات مع الطرف الآخر الذي لابد وأن يكون ذو حنكة عالية في المفاوضات السياسية، فضلاً عن ذلك لابد وأن يكون الرسول يتميز بقدرة كلامية يستقطب بها الشخص الذي يُحاورهُ ويتفاوض معهُ من أجل كسب المفاوضات لصالح دولتهُ والملك الذي أرسلهُ، لذا كانت للدبلوماسية السياسية دورٌ كبير في سير المحادثات مابين مدينتي الوركاء وكيش إذ كانت العلاقة مابين المدينتين متوترة وغير جيدة مما تطلب سرعة في نقل الخطابات عبر المبعوثين بين حكام المدينتين ويتضح ذلك من النص المسماري (لم يكد يمضي أكثر من عشرة أيام وأكثر من خمسة أيام حتى وصل رسول اكا...)( )، نلاحظ الترقب الواضْح للمبعوث وكم استغرقَ[٢] من الوقت حتى وصل ولا نلاحظ هذه الدقة في عمل المبعوث التجاري أو المبعوث الاقتصادي مما يشير إلى الأهمية التي دعت إلى توثيق الوقت الذي أستغرقهُ في رحلتهِ، وهذهِ القصيدة تبدأ بذكر حاكم كيش المسمى آكا عندما شعر بخطر كلكامش حاكم الوركاء الذي يُهددهُ في السيطرة على بلاد سومر بعث إليه بإنذار نهائي يطلب فيهِ الخضوع إلى دولة كيش أو تحمل عواقب الأمور وبذلك أستخدم الملك آكا المبعوثين في إيصال رغبتهُ إلى الملك كلكامش مطمئناً على سلامتهم، رغم العداء الموجود مابين

الدولتين لكن في النهاية كان جواب كلكامش بعد أن أستشار مجلس الشيوخ في الوركاء "لتوضع الآن عدة (السلام) جانباً، وليحل محلها عنفوان المعركة"( )، ويذكر لنا الملك انتمينا( )، المحاولات التي جرت لإنهاء النزاع( )، مابين مدينتي لكش واوما ومنها الاهتداء إلى طرف ثالث وهو ميسالم( )، ملك كيش الذي قام برسم الحدود وتثبيتها بين الطرفين المتنازعين مع استحداث أرض حرام بينهما، والدلائل على ذلك والشواهد عديدة من عصر فجر السلالات.

ثانياً : أول برلمان سياسي ونظام انتخابات

قدمت لنا النصوص المسمارية من عصر فجر السلالات أروع الأمثلة عن أول برلمان سياسي في تاريخ البشرية، إذ انتهت أولى الأزمات السياسية الداخلية المعروفة في تاريخ العراق القديم، والتي حدثت بين اكا وكلكامش، عن طريق الحل السلمي، وتركت لنا صدى أشهر جلسة برلمانية في العالم القديم، عقدت في مدينة الوركاء لمناقشة الإجراءات التي تقتضي الظروف اتخاذها حول الأزمة مع مدينة كيش، وبذلك يكون العراقيون القدماء أول من مارس أساليب العمل الديمقراطي في العالم، وقد أطلق الباحثون على هذهِ الممارسة اسم (الديمقراطية البدائية( )، ولقد كان هذا البرلمان أول برلمان سياسي مثل برلمانات العالم في الوقت الحاضر وهو مؤلف من مجلسين؛ مجلس الأعيان (أي مجلس الشيوخ)، ومجلس العموم (مجلس الشباب)، المؤلف من المواطنين الذكور القادرين على حمل السلاح، وقد دُعي هذا البرلمان للانعقاد لاتخاذ قراراً في أمراً خطيراً يخص أمن البلاد وسيادتها، لقد كان عليه أن يختار بين السلم بأي ثمن كان، وبين الحرب مع الاستقلال، وبذلك فأن مجلس الشيوخ أعلن قرارهُ بجانب السلم مهما كان الثمن (أي الرضوخ والاستسلام والانقياد إلى حاكم كيش) إلا أن الملك كلكامش ملك الوركاء اعترض على هذا القرار (أي أنهُ أستخدم حق الفيتو في نقض قرار مجلس الشيوخ ولم يبادر إلى اتخاذ قرار فردي) بل عرضهُ على مجلس الشباب فأعلن هذا المجلس الحرب من أجل الحرية وعدم الخضوع لمدينة كيش، فسّر لذلك الملك كلكامش وصادق على هذا القرار( )، إذ ورد في النصوص المسمارية "أن رسل ومبعوثي أكا ... شرعوا بالسفر من كيش إلى كلكامش ملك الوركاء ... فعرض كلكامش الأمر على مجلس شيوخ مدينتهُ ...

لكن مجلس شيوخ مدينتهُ أجاب كلكامش لنذعن إلى بيت كيش ولا نحارب بالسلاح ... ثم عرض كلكامش الأمر مرةً أُخرى على مجلس الشباب ... فأجابهُ المجلس لا نذعن إلى بيت كيش ولنضربهُ بالسلاح ... "( )، نجد في هذا المقطع[٢] من النص التطبيق الحقيقي للعمل الديمقراطي والحق الذي يمارسهُ المواطنون بإدلاء صوتهم في القرارات المهمة، ونقرأ في نص مسماري آخر "في أرض انليل الحقل الذي يعود إلى ... والمعبد الذي يختص بـ... اجتمعت كيش وايكور كيش، رجل من كيش كانوا قد رفعوهُ إلى سدة الملوكية"( )، وهذا النص يشير إلى[٣] مسألة مهمة وهي انتخاب[٤] الملك وإيصالهُ إلى دفة الحكم ومثل هذا التكليف كان يتم في إطار الممارسات الفعلية للديمقراطية البدائية، وتتضح مسألة الانتخابات الرئاسية أكثر في صعود اوروانمكينا إلى عرش مدينة لكش وكان ذلك نتيجة خلع دائرة الشعب للملك السابق وانتخابهم للملك الجديد اوروانمكينا[٥]( )، ومما تقدم يمكن القول بأن المعلومات التي ورّدة ألينا وتعرفنا من خلالها على وجود تطبيق حقيقي للعمل الديمقراطي واتخاذ قرارات مهمة تخص أمن البلاد وسيادتها واستقرارها كانت مستقاة من النصوص المسمارية التي استوعبت بشكل دقيق مسألة مجلس عمومي من شأنهُ الاطلاع على قضايا مصيرية، فضلاً عن ذلك فأن النصوص المسمارية جعلتنا نتعرف على إمكانات فكر المواطن العراقي القديم في مجال اختيار الشخص المؤهل لإدارة الدولة، لذا نجد الملك أثناء المدة التي يقوم بها في انجاز مهامهِ ومواجهة الأزمات الطارئة كان محكوماً بالمصدر الذي استمد منهُ سلطتهُ العظيمة والتي تتمثل بانتخابهِ من قبل المجلس العام، وهكذا فإن السلطة التي كان يتمتع بها كانت تعتبر دائماً سلطة مؤقتة وغير شخصية لا تمارس إلا أثناء مدة محدودة تحددها فترة أنجاز المهمة الموكلة إلية( ) .

ثالثاً : تطبيق مبادئ القانون الدولي

أن المتمعن بالنصوص المسمارية يجد نفسهُ أمام عطاءٌ ثريٌ بالمعلومات على كافة الأصعدة، ومن أبرز هذه المعلومات هي معطيات الأحداث السياسية التي شهدها عصر فجر السلالات، ومنها تطبيق القانون الدولي المستند على توسط طرف ثالث وهو حاكم في مدينة أُخرى لحل النزاع مابين دولتين متخاصمتين، وهي

من الممارسات السياسية التي أدت إلى عقد المعاهدات والاتفاقيات السياسية والأحلاف العسكرية( )، وقد سبق سكان بلاد الرافدين العالم القديم بمنجزات عدة كان من بينها تطبيق مبادئ القانون الدولي الذي أتفق على تعريفهِ الفقهاء المحدثون في القانون الدولي على أنهُ " مجموعة القواعد التي تحدد حقوق الدول وواجباتها في علاقاتها المتبادلة" والتعريف الآخر "مجموعة القواعد التي تحكم العلاقات بين الدول التي تدعي لنفسها السيادة ولا تعترف بأي سلطة أعلى منها"( )، ومن بين أشهر ٧
المعاهدات تلك التي عقدت بين مدينتي لكش واومّا بتحكيم طرف ثالث، والتي تعد من أبرز ما طبق من مبادئ القانون الدولي في العالم، على يد ميسالم ملك كيش الذي عُد حكماً دولياً ذات صفه مستقلة طُلب منهُ التحكيم وإنهاء النزاع والعداء مابين دولتين متخاصمتين على الأراضي الزراعية والحقول ومصادر المياه( )، إذ نقرأ في ٨
النص المسماري "... ميسالم ملك كيش قام استناداً إلى أمر الإله أشتران بمسح الحقول وأقام في المكان مسلة ... قناة الحدود العائدة إلى الإله ننكرسو، وقناة الحدود العائدة إلى الآلهة نانشا وإلى المسلات المقامة هنالك ... قواعد تماثيل الآلهة المقامة على الساتر الطيني ..." ( )، ونقرأ (استناداً إلى كلمْتهِ الثابتة ... ومن أجل ٣
الإله شارا ميسالم ملك كيش قام برسم الحدود واستنادا إلى كلمة الإله انليل... قام ميسالم بمسح الحقول وأقام في المكان الذي مسحهُ مسلة)( )، وقد أشارة هاتين ٥
الفقرتين إلى مسألتين مهمتين تشيران إلى تنظيم العلاقات بين دولتين متخاصمتين، الأولى التحكيم كمبدأ بين الأطراف المتنازعة، فنجد أن الملك ميسالم ملك مدينة كيش باعتباره حكماً دولياً قام بقياس مساحة الحقول والأراضي المتنازع عليها مابين الدولتين إي أن الملك ميسالم استخدم أدوات معينة للقياس بحضور ممثل عن مدينة لكش وممثل عن مدينة آوما وقام بتوزيع حقول الأراضي وقنوات المياه حتى تم التراضي وثُبت ذلك بمسلات وساتر طيني أُقيم بين المدينتين ومن ثم ثبت الحدود الفاصلة بواسطة مسلات من الحجر، وثانياً أستحدث فكرة الأرض الحرام أو مبدأ الأرض التي لا تعود إلى ملك أي (أحد)( )، ومهما يكن فأنّ أمر[١] التحكيم هذا قد ٤
وافق عليه الطرفان المتخاصمان وحُل النزاع وثُبت خط الحدود بينهما، فكان لسكان

بلاد الرافدين قصب السبق في وضع أساسيات العلاقات الطيبة بين البلدان المتجاورة المبني على أُسس قواعدية قانونية رصينة .

رابعاً : الحرية وحقوق الإنسان

مرّ الاهتمام بحقوق الإنسان بمراحل تطور مختلفة وكانت بداية هذا الاهتمام تعود إلى الحضارات القديمة التي أولت الإنسان وحقوقهُ عناية كبيرة ولكن بدرجات متفاوته بين حضارة وأخرى.

وتُعد حضارة بلاد الرافدين من أقدم الحضارات البشرية وأبرزها اهتماماً بحقوق الإنسان إذ توضحت العلاقات الاقتصادية بين الفرد والدولة وبين الإفراد أنفسهم، فضلاً عن ظهور حدود الملكية الشخصية( )، كما شخّص العراقيون القدماء الأهمية إلى ظهور مبادئ النظام الإداري والقانوني والعدالة والتي تُرجمت بهيئة قوانين مدونة كانت أقدم ما ظهر في تاريخ البشرية( )، وتعود أقدم الإصلاحات الاجتماعية المدونة حسب معرفتنا إلى اوروانمكينا الحاكم الثامن ضمن سلالة لجش وآخر حكامها والذي حكم حوالي ثمان سنوات ( ).

وتُعد إصلاحات هذا الملك من أقدم نماذج الإصلاحات المدونة التي وصلت إلينا والتي تهدف إلى إصلاح الأوضاع وتنظيم العلاقات التي تربط أفراد المجتمع ومنع الأغنياء والكهنة من استغلال الفقراء( )، إذ ورد في الوثيقة (أن بيت الفقير قد صار بجوار بيت الغني) وهذا يُعد أبرز مظاهر حقوق الإنسان خاصةً بعد أن منح الملك اوروانمكينا الحرية التامة لسكان مدينة لكش، إلى غير ذلك من الإصلاحات الاجتماعية التي تصب في مصلحة الفرد والمجتمع( )، وقد وصلت إلينا الإصلاحات مدونة بالخط المسماري وباللغة السومرية على ثلاثة مخاريط فخارية وعلى لوح فخاري بيضوي الشكل اكتشفت في مدينة لجش في عام (١٨٧٨) م، وقام بدراستها الباحث ثورودانكَان( ). وقد ورد ذكر هذه الإصلاحات في أحد الألواح التي تعود إلى اوروانمكينا بمناسبة فتح قناة جديدة( ).

وتبرز أهمية الإصلاحات في كونها تنادي بحقوق الإنسان وحريته إذ أن كلمة (AMA-AR-GI) والتي تعني حرفياً الرجوع إلى الأم أي الحرية التي تشير ايضاً إلى حرية الطفل الرضيع، قد وردت لأول مرة في هذه الإصلاحات التي هي في

الوقت الحاضر أمنية جميع شعوب العالم(٤). كما أنها تشير إلى[٩] التخفيف من استئثار مراكز القوى والنفوذ وحصرها بيد المعبد، ولذلك فإن سيطرة المعبد في المرحلة التي تعالجها هذه الإصلاحات كانت ضرورية ومهمة لأنه لا بديل غير ذلك يستطيع القيام بدور أساسي في قيادة المجتمع والإشراف المباشر على مستلزمات الإنتاج(٥)، ونرى حالة البؤس التي وصل إليها مواطنو[٥] المدينة بسبب الضرائب المفروضة عليهم بالنصوص المسمارية التي ذكرت (صاروا يستجدون الطعام ويأكلون الفضلات من أبواب المدينة في حين أن مخازن الحكام وبيوتهم وقصورهم وأملاك حاشيتهم كانت تفيض بالخيرات، وأينما ولى المرء وجههُ من حدود ننكرسو إلى تخوم البحر وجد جباة الضرائب)(٥)، ويتضح الظلم والتسلط على رقاب الناس ومسك وتقييد حريتهم من خلال قراءة الأسطر التالية (إذا أراد تابع الملك أن يحفر بئراً في أعلى جزء من حقلهِ كان يقبض على رجلٍ أعمى ليقوم بحفرهِ، وإذا ما أحتاج الحقل إلى إزاحة الماء منهُ كان تابع الملك يقبض على رجل أعمى للقيام بذلك)(٣)، ونقرأ (الشخص المشرف على السفن استولى على السفن لنفسهِ وراعي الغنم قد استولى على الغنم لنفسهِ مصادر السمك جامع الضرائب قد استولى عليها)(٥)، مما يدل على تضييق الخناق على السكان وسلب حريتهم وأكل حقوقهم، فعمد الملك اوروانمكينا إلى أعادة هيبة المعبد وأملاكه وأراضيه، وسعى إلى إدارة الدولة بالصيغة التي تهدف إلى تحقيق العدالة ومن

أبرزها إلغاء الضرائب التي أثقلت كاهل الناس وخفض المتبقي منها، ومنع كبار موظفي الدولة من تسخير أموال المواطنين لمصالحهم الشخصية أو التسلط عليهم بل عمد إلى إعطاء الطبقات الدنيا حق التصرف والحرية الكاملة في البيع والشراء وإدارة أملاكهم الخاصة، وهذا ما ظهر في إصلاحاتهِ إذ نقرأ (أذا أراد وجيهة شراء بيت يعود لفقير فيمكن للفقير أن يطلب الثمن الذي يريدهُ من الوجيه وعلى المتنفذ أن يدفع الثمن بنقود معتمده ولا يستطيع بأي حال من الأحوال أن يضطهد الفقير أذا رفض البيع)(٥)، كما قام بإلغاء العديد من الوظائف التي لم تكن ضرورية والتي أشتكى الناس من تعسف أصحابها، وقام بطرد الموظفين الفاسدين الذين ثبت عليهم أخذ الرشوة من المواطنين وأبقى على أصحاب المناصب المخلصين(٥)، ولوجود

موظفين لا يحترمون حقوق الإنسان ولا يطبقون العدالة الاجتماعية التي ترعى حقوق الإفراد قام الملك اوروانمكينا بإلغاء العديد من الوظائف من أبرزها وظيفة ناظر الملاحين ومنعهُ من الإشراف على السفن، كما هو مبين بالنص الآتي (مفتش الزوارق حجز الزوارق ، مفتش القطعان حجز القطعان، مفتش الصيادين حجز الصيادين) ( )، وأبرز ما قام به راعي٦ الإصلاح وحقوق الإنسان٥ ما أورده النص (لقد استرجع المراكب من سيد البحار... واستعاد من الحجاب الضريبة التي تدفع إلى القصر)، ونقرأ كذلك أن الملك اوروانمكينا لم يتوقف فقط على استرجاع حقوق أو كل ذي حقٍ حقهُ بل قام بتطهير المدينة من اللصوص والمرابين وقطع عهداً على نفسهِ أمام الإله ننكرسو بأنهُ (لن يسمح بأن يقع اليتامى والأرامل فريسة لظلم الأقوياء)( )، وعمد اوروانمكينا في إصلاحاته إلى تخصيص جرايات دائمة للعميان ولمجموعة أخرى من الكهنة وأصحاب الحرف ورفع الضرائب عن قسم كبير منهم والتي كانت تفرض عليهم قبلهُ من قبل الحكام والمتنفذين من حاشية القصر، كما قام بإعادة بناء معابد الإله (ننكَرسو) وزوجته الإلهة (بآو)( )، كما أعاد المعابد إلى٨سابق عهدها ٥ وأصبح الإله (ننكَرسو) ملكاً على بيوت الحكام وحقولهم، وزوجته الإلهة (بآو) ملكة على بيوت حريم القصر وحقولهن، والإله (شولشا) ملكا على بيوت أطفال القصر وحقولهم، كما شملت الإصلاحات بعض أصناف الكهنة الذين تعرضوا للاضطهاد ومنحهم جرايات ثابتة من الشعير، كما منع المفوضون المسئولون عن جمع الضرائب من أخذ الضريبة من مديري المعابد من الطبقة التي تسمى (سانكَا) التي كانت تؤخذ عادة على القصر(٩). ٥

لذا يمكن القول بأن إصلاحات اوروانمكينا تُعد أول وثيقة تهدف إلى رفع الظلم والمفاسد ورعاية حقوق الإنسان وحماية الناس وممتلكاتهم ووضع حد للمفسدين فهو بحق أول ملك رعى الحريات والحقوق وعمل بها وثبتها للمجتمع.

خامساً : العفو العام

من خلال المعلومات المتوفرة التي تشير إلى إن دولة لجش كانت تتمتع في عهد حكامها الأوائل بازدهار اقتصادي وقوة عسكرية فاقت قوة الدول المجاورة، فدخل ملوكها الحروب مع هذه الدول ولا سيما دولة أوما وحققوا العديد من الانتصارات،

وكانت نتيجة تلك الانتصارات أن تدفقت الكثير من الغنائم على البلاد واتسعت مساحة الأراضي الزراعية ومواردها الاقتصادية فعم الرخاء وارتفع مستوى المعيشة ولا سيما بالنسبة للطبقة السياسية الحاكمة(٦). ولكن ما لبث حتى دب الضعف في البلاد وتقلصت القوة العسكرية وانقطعت مواردها الاقتصادية فما كان على المتسلطين أن يفرضوا الضرائب على أفراد المجتمع في المدينة ويبتزوا الأموال منهم بشتى الطرق لكي يتمكنوا من إيجاد مورد جديد لهم يحافظوا من خلاله على المستوى المعاشي المرتفع الذي اعتادوا عليه في عهد قوتهم وانتصاراتهم(١). فدب الفساد في البلاد وعمت الفوضى ولم يكتفي الحكام والمتنفذون مما كانوا يجمعونه من ضرائب بل استولوا على أملاك المعبد واستغلوا أراضيه وحقوله واستثمروا موارده وسيطروا على إدارة شؤونه وأصبح المعبد تابعاً للأسرة الحاكمة بعد أن كان مسيطراً عليها وموجهاً لسياستها، ثم جاء الملك اوروانمكينا فقام بإصدار إصلاحاته الجذرية وأعاد للمعبد أملاكه وسلطتهُ(٢). وبذلك نجد ان الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتردي قد تصدى لهُ اوروانمكينا ووضع حداً لإنهائه محاولاً إعادة الأوضاع السياسية والاقتصادية إلى سابق عهدها(٣ ٦).

وقد وجهت تلك الإصلاحات بشكل أساسي ومباشر ضد الضرائب وسوء المعاملة والإيذاء من قبل ممارسي السلطة السياسية وتابعيهم الذين استولوا على الممتلكات(٤ ٦).

وتذكر الإصلاحات كيف إن مواطني لجش سقطوا ضحايا لطمع الموظفين، وكيف إن الضرائب كانت تجبى على كل مفاصل الحياة منها القوارب وصيادي السمك وعلى المواشي فكان عليه أن يدفع (٥ شيقل فضة إلى الحاكم، ٥ شيقل فضة إلى مدير القصر)، وكيف أن أفضل أراضي المعبد استولى عليها واختيرت أفضل الثيران للعمل فيها وزرعت فيها البصل والخيار لمصلحتهم، وتذكر الإصلاحات كيف إن الضرائب وصلت إلى الدفن إذ كان موظفي الضرائب يستخلصون كميات كبيرة من أهل الميت مما اضطر أهل الفقراء إلى رمي جثث أبنائهم في النهر(٥).

فعمد الملك اوروانمكينا إلى القضاء على تلك المظاهر السلبية وأصدر إصلاحاته وعمل على إعادة أراضي الإله ننكرسو التي استغلها الحكام السابقون لمصلحتهم،

وأهتم برفع القيود التعسفية التي فرضت على الناس وحرر الكثير من أصحاب المهن من ضغط الأشراف عليهم وأخذهم الأجور بالفضة من السماكين والفلاحين والرعاة، كما قام بطرد المرتشين من الموظفين وفرض عقوبات على السرقة والاغتصاب( )
وقد سعى الملك اوروانمكينا إلى إدارة الدولة بالصيغة التي تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، فقد عمل على إلغاء بعض الضرائب التي أثقلت كاهل الناس وخفض المتبقي منها، ومنع كبار موظفي الدولة من تسخير أموال المواطنين لمصالحهم الشخصية أو التسلط عليها( ). وإذا ما تمعنا في النظر جيداً نجد في إلغاء الضرائب الباهظة من أبرز مظاهر العفو العام حتى في الوقت الحاضر إذ إنها تشكل (الضرائب) عبئاً وكاهلاً كبيراً على عاتق السكان وتؤدي إلى تفكك المجتمع .

كما أصدر عفواً عاماً على المسجونين والموقوفين بسبب ديونهم السابقة أو بسبب استحقاقات الضرائب عليهم إلى القصر، ومنع الرجم على السارق وكل هذه كانت ترتكب في الأيام الماضية قبل وصول اوروانمكينا إلى الحكم، كما شرعت بعض الإصلاحات القانونية الخاصة بالعائلة، إذ أصدر عفواً على الضرائب التي كانت تفرض على الرجل إذا طلق زوجته( ).

٦ ٨

The Texts cuneiform and Their Role in absorbing the most prominent political date witnessed in the era of dawn dynasties

Dr.Jassim abid Al Ameer Jassim

Abstract

Perhaps the brightest aspects of archeology that Prospectors were able to memorize of rubble and ruins dirt civilizations of

nations peoples forgetful and forgotten did not known about the world thing, and thanks to what is provided by the texts cuneiform which revealed her in the rubble our knowledge of political history and cultural those nations, as well as science, knowledge and Arts and roles that like herein theater human history nations and peoples of old, has absorbed these texts the most prominent events accurate details for various aspects of life and come at the forefront of absorb the most prominent date political events despite the lack of texts historical in the third Millennium BC, but they are able in its folds understand the first parliament political, the first elections, diplomacy political, Amnesty, freedom and human rights, the application of the principles of international law and other.

المصادر العربية والأجنبية

١- الراوي، فاروق ناصر،"العلوم والمعارف"، موسوعة حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٩٦.

٢- كانجيك- كيرشباروم، ايفا، تاريخ الأشوريين القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، دمشق ٢٠٠٨، ص١٥.

٣- عامر، سليمان والفتيان، أحمد مالك، العراق في التاريخ القديم، الموصل ١٩٩٠، ص ١١.

٤- عصر السلالات (Early Dynastic) أو عصر دول المدن (City States) هي المدة الزمنية المحصورة مابين ٣٠٠٠ أو ٢٨٠٠ ق.م إلى قيام سرجون الاكدي وتأسيسهُ الدولة الاكدية وتوحيد دويلات المدن المتعددة في دولة واحدة يسميها بعض الباحثين بالإمبراطورية الاكدية في حدود ٢٣٧١ق.م ، للمزيد ينظر:
طه، باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، مج١، بغداد ١٩٨٦، ص٢٥٤ وما بعدها .

٥- المصدر نفسه، ص ٢٥٥.
حول نتائج التنقيبات التي أضطلع بها المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو في مواقع حوض ديالى . ينظر:

6H.Frankfort,"More Sculpture From The Diyala Region"OIP-60,Chicago, 1943.

٧- طه، باقر، مقدمة في تاريخ...، ص٢٥٥ .

٨- مدينة لكش : تُعد من المدن السومرية ذات الشهرة الواسعة، تقع على بعد (١٦كم) شمال شرق مدينة الشطرة في محافظة ذي قار. للمزيد ينظر:
قحطان، رشيد صالح، الكشاف الأثري في العراق، بغداد ١٩٨٧، ص ٢٦١.
٩- أنطوان، مورتكارت، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،بغداد١٩٧٩، ص١١٩.
١٠- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ٦٨.
١١- باقر، طه، مقدمة في تاريخ ... ، ص ٢٨٩.
١٣- صموئيل، نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، بيروت ٢٠١٢ ، ص ٤٤٩-٤٥٠.
13- Sollberger,E.,The Tummal Inscription,Jcs-16/3,London(1962),p.40ff.
14- Ibid,p.46f.
15- Grayson,A,K.,Assyrian Royal Inscription,Vol-11,Wiesbeden(1973),p.20.
16- Oppenheim,A,L.,Ancient Mesopotamia,Chicago(1964),p.26.
١٧- باقر، طه، مقدمة في تاريخ ... ، ص ٣١٤.

١٩- صموئيل، نوح كريمر، السومريون تاريخهم ....، ٤٤٩.
٢٠- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص, ٦٨.
20- Brinkman, J.A., Mesopotamia chronology of the historical period, Chicago, 1977, P. 33 .
21- Kurt, Amelie ., The Ancient near East, New York, 2002, P.27.

٢٢- قصيدة سومرية عُرفت باسم انمركار وسيد أرتا وقد أظهرت لنا أقدم المفاوضات السياسية التي تمت بين البطل السومري انمركار ثاني حكام سلالة الوركاء الأولى حسبما جاء ذلك في جداول الملوك السومرية، وحاكم مدينة أرتا، أحدى المدن الواقعة في المنطقة الجبلية في الأجزاء الغربية من إيران وهي أشارة إلى أقدم مفاوضات سياسية يظهر فيها مبعوث ملكي من قبل انمركار. للمزيد ينظر: عامر، سليمان، "العلاقات الخارجية"، ...، ص ١١١.
٢٣- صموئيل، نوح كريمر، من ألواح سُومر، ترجمة: طه باقر،بغداد،٢٠١٠،ص٧٦.
24- Kramer,S,N.,Enmerkar and Lord of Aratta : a Sumerian epic tale of Iraq and Iran, ,philadeliphia,(1952),p.1f.
٢٥- غيث، سليم فرحان، الموفدون وأثرهم في العلاقات الدولية.....، ص ١٢٨
٢٦- عامر،سليمان،"العلاقات السياسية الخارجية".....،ص ١١٣-١١٤
٢٧- أنتمينا خلف أباهُ في حكم سلالة لكش الأولى وذلك بحدود (٢٤٣٠-٢٤٠٠ق.م) ولقبهُ بعض المؤرخين بـ(المؤرخ الأول) إذ أن النص الذي جاء من عهدهُ والذي دون تاريخ النزاع بين لكش واوما والتي تُعد أول محاولة لكتابة التاريخ، للمزيد ينظر: فاضل، عبد الواحد علي، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد،١٩٨٩، ص١٣٤
٢٨- وهذه المحاولات تكون أكيداً عن طريق المبعوثين والمراسلين ما بين مدينتي لكش واوما
٢٩- ميسالم هو ملك مدينة كيش قام لحل النزاع والتوسط ما بين مدينتي لكش واوما ورسم خط الحدود ما بين الدولتين المتنازعتين، ويُعد أول اتفاق صلح يُبرم بين دولتين متنازعتين، ينظر: فاضل، عبد الواحد علي، "الأدباء السومريون وأحداث في التاريخ"، مجلة آفاق عربية العدد٧، ١٩٩٢، ص ٧٥ .

٣٠- الأمير، سعدون عبد الهادي، الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم (٣٠٠٠-٥٣٩ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠٠٥، ص ٢٩٢.
٣١- صموئيل، نوح كريمر، من ألواح ...،ص٨٦.
32- Thorkild Jacobsen,"Primitive Democrocy in Ancient Mesopotamia", Journal of Near Eastern Studies,(1945),p.3ff.
٣٣- الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، القسم الأول، بغداد، (ب، ت) ص٢٢٧.
٣٤- الأحمد، سامي سعيد، "الإدارة ونظام الحكم"، حضارة العراق، ج٢، بغداد ١٩٨٥،ص ٢١.
٣٥- المصدر نفسه، ص٢٢٨.
٣٦- باقر، طه، مقدمة في تاريخ ... ، ص ٣١٧ .
٣٧- العطية، عصام، القانون الدولي العام، بغداد ٢٠١٢، ط٢، ص٨-٩.
٣٨- باقر، طه، مقدمة في تاريخ ... ، ص ٣١٧.
39- Steible,H.,Die Alt Sumerischen Bau und Weihinschriften , Wiesbaden, (1982),pp.211f.
٤٠- فوزي، رشيد، ترجمات لنصوص سومرية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٣.
41- Kramer,S.N.,History Begins at Sumer, Chicago(1959),pp.30-50.
٤٢- بهنام، أبو الصوف، "قراءة في المضمون القانوني للشرائع العراقية القديمة، نبذة تاريخية"، مجلة دراسات قانونية ، بيت الحكمة، العدد الثاني، ٢٠٠٠، ص ٥.
٤٣- الفهداوي، فارس محمد شلال، النظام الإداري في العهد السومري (عصر فجر السلالات إلى نهاية عصر سلالة أور الثالثة)، الأردن، ٢٠١٨، ص ٧٧.
44 - Cottrell, L., The Land of the two Rivers, America, 1962, p. 56.
٤٦- سليمان، عامر، "الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة"، المدينة والحياة المدنية، ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص، ١٨٤.
٤٧- العطار، أحمد هاشم، ملامح حقوق الإنسان في شرائع العراق القديم، سلسلة ثقافية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٤، ص ١٤ .
٤٨- كريمر، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، بغداد، ١٩٥٧، ص، ٦٣.
48- Kramer, S.N., History begins at Sumer, London, 1961, p. 89.
٥٠- جورج، كونتينيو، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة: سليم طه التكريتي،بغداد ١٩٧٩، ص ٥٣.
٥٠- جورج، رو، العراق القديم، ١٩٨٦، ص، ١٩١.
٥١- طه، باقر، المقدمة في تاريخ ...، مصدر سابق، ص ٣٥٦.
٥٢- عامر، سليمان، القانون في العراق القديم ...، ج١، ص ١٤٤.
٥٣- فوزي، رشيد، ترجمات ...، ص ٣٩.
٥٥- روزنكارتين، ايقون، نظام القرابين في المجتمع السومري حسب نصوص ما قبل سرجون في لجش، ترجمة: خليل سعيد عبد القادر، بغداد، ١٩٩٠، ص٥٩.
٥٦- الأحمد، سامي سعيد، المدخل إلى تاريخ العالم القديم، ج١، ص٢٧٤ وما بعدها .
٥٧- كريمر، صموائيل نوح، هنا بدأ التاريخ، ص٣٥.
٥٨- الفهداوي، فارس محمد شلال، النظام الإداري...، ص٨٦.
58- King, L., A History Sumer and Akkad, London, 1919, p. 185.
٦٠ - كريمر، صموئيل نوح، ١٩٧٣، ص، ٤٥٥ – ٤٥٩.
٦١- ساكز، هاري، عظمة بابل، ١٩٧٩، ص، ٦٦.

٦٢- سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧، ص، ١٤٣.
٦٣- سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، الموصل، ١٩٩٣، ص، ١٩٣.
٦٤- الراوي، فاروق، "اقتصاد المدينة العراقية القديمة"، المدينة والحياة المدنية، ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص، ٢٤٤.

65- Finnegan, J., Light from the Ancient past, London, 1959, p. 44.
66- Diakonoff, I.M., Some remarks on the reform of Uru – Kagina, RA, 52, 1958, p. 1 ff.
٦٧- سليمان، عامر، القانون في العراق القديم...، ج١، ص١٤٣.
68- Diakonoff, I.M., Some remarks...,p. 2f.